بحوث إسلاميه هامه

٢١

القومية

في ميزان الإسلام

عبد الله ناصح علوان

أستاذ الدراسات الإسلامية
بجامعة الملك عبد العزيز بجدة

الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠م
الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤م

القَوْمِيَّةُ

في ميزان الإسلام

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

القاهرة ص.ب : ١٦١ الغورية . ت : ٩٣٥٦٤٤
حلب ص.ب : ١٨٩٣ . هـ : ١٧٧٦٤
بيروت ص.ب : ١٣٥٣٣٧

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدّمة

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى دعاة الحق ، وقادة الخير بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد : فكتابي « قصة الهداية » الذي سيخرج بإذن الله قريباً جداً إلى قرّاء العربية في كل مكان ؛ يشتمل في ثنايا ه على محاضرات قيمة ، وبحوث هامة . . يجدها القارىء في موضعها المناسب من القصة هنا وهناك . .

فرأيت أن أستخلصها واحدة بعد واحدة ، وانظر ما فيها ، وأزيد إذا احتاج البحث إلى زيادة ، وأحذف إذا رأيت في الحذف ثمة ضرورة . . حتى إذا انتهيت من تنقيحها وتعديلها . ضممت المحاضرة أو البحث إلى سلسلة « بحوث إسلامية هامة » عسى أن يستفيد قرّاء السلسلة من هذه المحاضرات والبحوث ، وعسى أن يجدوا فيها الإجابة الشافية على كثير من التساؤلات

التى تتصل بنظام الإسلام ، وترتبط بشبهات الأعداء !! .

فمن هـذه المحاضرات التي ألقيت في مـوضعهـا المنـاسب من القصة محاضرة « نشـأة القوميـة وموقف الإسلام منهـا » التي قـام بأداء دورها عند ظهور الشخصيات شخصية الأستاذ « فتحي » ، وقـد عدّلت عنوان المحـاضرة بعنوان آخر سميتـه : « القـوميـة في ميزان الإسلام » .

وسوف تجـد ـ أخي القـارىء ـ في بحث القوميـة هـذا كيف نشأت القومية ؟ ، وما هي حجج القومية والردّ عليها ؟ وما هو موقف الإسلام من فكرة القـوميـة ؟ ومـا هـو مـوقفـه أيضـاً من العرب واللغة العربية ؟ إلى غير ذلـك من التسـاؤلات التى تراود المتأثرين بالفكر القومي . .

الله أسـأل أن يجعل أعمـالنـا خـالصـة لـوجهـه الكريم ، وأن يبصّر جيلنا الحاضر حقائق الإسلام ، ومبادىء تشريعـه الخـالـد ، ليحمل الأمـانـة عن عقيـدة واقتنـاع . . عسى الله أن يحقـق على يديه عز الإسلام ، ومجد المسلمين ، وهداية البشرية جمعاء . . وما ذلك على الله بعزيز ؛ إنه بالإجابة جدير .

المؤلف

مقدِّمة وتمهيد

من المواضيع الهامة التي لها صلة وثيقة بالغزو الفكري والتضليل اليهودي ، والدعوات العلمانية . .
موضوع « القومية » .

فعلى كل مسلم أن يعرف معرفة تامة : كيف نشأت القومية ؟ وما الهدف من نشأتها ؟ وما هي عناصر القومية ثم الرد عليها ؟ ولماذا لاينادي القوميون بالجامعة الإسلامية ؟

ولماذا يريدون فصل الدين عن الدولة ؟

ثم بالتالي عليه أن يعرف : ما هي حقوق غير المسلمين في ظل العقيدة الإسلامية ؟

وهل القومية تتنافى مع نظام الإسلام ؟ وما هو موقف الإسلام من العرب واللغة العربية ؟

وها أنا ذا سأجيب بشيء من التفصيل عن كل سؤال من هذه التساؤلات التي يثيرها دعاة الفكر القومي أو التي يبثها

أصحاب الغزو الفكري . . . .

وعلى الله قصد السبيل ومنه نستمد العون :

☆ ☆ ☆

١ ـ كيف نشأت القومية [١] في بلاد الإسلام ؟ :

نسمع عن الكثير من أبناء جلدتنا ، ممن يتكلمون بألسنتنا أنهم مفتونون بفكرة القومية ، لكونها العامل الوحيد ـ في نظرهم ـ في جمع العرب على اختلاف أديانهم تحت رايتها ، والانضواء تحت لوائها !! .

ولكن لو تعمّق أولئك المفتونون بدعوى القوميةفي حقيقة نشأتها في بلاد الإسلام لما وقفوا مع دعاتها موقف التأييد والتسليم ولنا بذوها العداء في أول لحظة تنكشف لهم فيها الحقيقة ، ويماط عنها اللثام !! .

وإليكم حقيقة النشأة بأجلى معانيها :

إن إرهاصات نشأة القومية في عالمنا الإسلامي تبدأ مع بدء التجمع اليهودي الصهيوني ، وسعيه الحثيث في انتزاع بيت

---

(١) من المراجع التي اعتمدت عليها في هذا البحث رسالة « هكذا نشأت القومية » للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، نشرتها في الخمسينات لجنة مسجد الجامعة السورية بدمشق .

المقدس ، واستلاب فلسطين !! .

فقد كانت الخلافة الإسلامية إذ ذاك تطوّق معظم بلاد الإسلام بطوق متين من الوحدة المتراصّة ، والتآخي الصادق النبيل . . على ما كانت تعانية الخلافة الإسلامية من ضعف وجمود وتفكك . .

وكان المحور الذي استقطب من حوله هذا التجمع اليهودي الصهيوني هو المحفل الماسوني الذي تأسّس في أواخر الدولة العثمانية باسم « محفل الشرق العثماني » فقد كان هذا المحفل مكّوناً من كبار الأغنياء والوجهاء ورؤوس اليهود . .

وكانت مدينة « سالونيك » مركزاً رسمياً له ، وهي المدينة التي ترعرعت في أحضانها جماعة اليهود « الدونمة » .

وبدأت أول محاولات اليهود المباشرة للاستيلاء على فلسطين بدخول الثريّ اليهودي الماسوني الكبير « قره صو » على السلطان « عبد الحميد » بواسطة مرافقة « عارف بك » ، فقد قال له إذ ذاك بالحرف الواحد : «إنني قادم مندوباً عن الجمعية

الماسونية لرجاء جلالتكم بأن تقبلوا خمسة ملايين ليرة ذهبية لخزينتكم الخاصّة ، ومائة مليون قرضاً لخزينة الدولة بلافائدة ، على أن تسمحوا لنا ببعض الامتيازات في فلسطين » !! ..

فما هو إلا أن تغيّر وجه السلطان غَيْرَةً وغضباً ، والتفت إلى مرافقه الذي دخل بواسطته قائلا : « أفما كنت تعلم ماذا يريد هذا الخنزير ؟ » ؛ ثم نظر إلى « قره صو » وصاح في وجهه قائلاً : اخرج من وجهي ياسافل !! .

فخرج « قره صو » من عنده متربد الوجه قاصداًإلى إيطاليا ، ومن هناك أرسل إلى السلطان « عبد الحميد » البرقية التالية : « أنت رفضتَ عرضنا ، ولكن هذا الرفض سيكلفك أنت شخصيّاً ، ويكلّف مملكتك كثيراً . .» !! . .

وفي هذه الأثناء قابله زعيم يهودي آخر هو « هرتزل »برفقة الحاخام « موسى ليفي » ،وراح يرجوه في تزلف أن يبيع أراضي فلسطين بالثمن الذي يريد ، فقال له السلطان « عبد الحميد » رحمه الله بالحرف الواحد : « إن هذه الأراضي قد امتلكها المسلمون بالدماء وهى لا تباع إلا بنفس الثمن » !! .

وهكذا يئست اليهودية وماسونيتها من إمكان إغراء الخلافة الإسلامية ببيع فلسطين ، أو التنازل عنها مهما كان الأجر والثمن . . فراحت تسلك إلى ذلك سبيلاً آخر ، مستعينةً بالمكر الإنكليزي للوصول إلى الهدف الخبيث . .

أما المؤامرة التي دبرت لذلك فهي ما قامت به « جماعة الماسونية » (١) من إشاعة أن السلطان « عبد الحميد » قد اتفق مع العرب على مؤامرة يُراد منها الكيد للشعب التركي ، والقضاء على العنصرية التركية وأن دعوى الجامعة الإسلامية ـ التي يدعو إليها

---

(١) الماسونية فكرة يهودية قائمة على حسب الظاهر على الإخاء الإنساني ، وعلى مبادىء : « الحرية ، الإخاء ، والمساواة » وعلى فكرة « الدين لله والوطن للجميع » . أما بالنسبة للباطن فتصارح المنتمي إليها بالمبادىء التالية : « ان غايتنا هي إبادة الدين من الوجود » ، « سوف نتخذ الماسونية غاية من دون الله » ، « يجب خلق جيل لا يستحي من كشف عورته » ، « إن النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته إلا بعد فصل الدين عن الدولة » . وبالطبع تقصد محاربة كل الأديان ما عدا اليهودية . . وهذه المبادىء الماسونية تستهدف في الدرجة الأولى الوصول إلى فلسطين ، وإقامة الدولة اليهودية ، وتنفيذ مخططات يهودية من الفرات إلى النيل على يد من ينتمون إلى الماسونية من حكام ووجهاء وأغنياء . .

السلطان ـ ليست إلا غطاءً دينيّاً يُراد منه ستر هذه المؤامرة . .

وأوحت إلى أحد الكتّاب الملاحدة وهو «ضياء كوك آلب » مع ثلة من أتباعه بفكرةإيقاظ القومية التركية الطورانية ، وفلسفتها والدعوة إليها والغلو في تمجيدها . .فاستجابوا لذلك ، وراحوا يبشرون بالعقيدة الجديدة ويملؤون من الحديث عنها أدمغة الشباب والطلاب . . مستعينين على ذلك بترداد ما أشاعته فلول الماسونية عن الجامعة الإسلامية ، وما يكمن وراءها .

وكان من تأثير ذلك أن تألّفت من مجموعة هؤلاء الداعين والمستجيبين « جمعية الاتحاد والترقي » التي ثارت على السلطان « عبد الحميد » ، واستطاعت إزاحته عن الحكم . .

فجمعية الاتحاد والترقي إذن هي جمعية يهودية ماسونية تأسست لفتح أول باب لليهود في الطريق إلى فلسطين ، بل بذلت كل جهدها وإمكانيتها في سبيل تقويض الخلافة الإسلامية ، وفصل الدين عن الدولة ، ومحاربة الإسلام . . واستعانت على ذلك بحمل سلاح القومية التركية الطورانية . .

يعلم ذلك كل مثقف واع لا يكذب على الحقيقة ولا على

التاريخ !! . .

غير أن سلاح القومية التركية لم يكن هو وحده أمل اليهود في القضاء على حصن الخلافة ، وإنما استعملوه ليكون منطلقاً لبثّ الدعوة إلى قوميات متعارضة متناقضة فوق الأرض الإسلامية . . كي تقوم بعملية الثورة والانفجار الذي يزلزل عرش الخلافة ، ويكسر طوقها المتين المحيط من حولها .

هكذا أفهم وزير المستعمرات البريطانية كبار قادة اليهود ، وهكذا خطط لهم . . يعلم هذا أيضاً كل مثقف واعٍ لا يريد أن يكذب على الحقيقة والتاريخ !! .

☆ ☆ ☆

٢ ـ كيف تمت المؤامرة وما الهدف منها ؟ :

سمع العرب باسم القومية التركية تهتف بها حناجر الأتراك الذين كانوا بالأمس لا يعرفون غير الإسلام ، ولا ينهضون بغير الجامعة الإسلامية ، ولا يميّزون رعاياهم في الهويات بمعرف غير الإسلام . . فعجبوا ثم تأملوا وفكروا وقدروا . .

وإذا بهم يقولون : لكننا نحن العرب !! . . وهل القومية التركية أولى بتمثيل الدولة الإسلامية من القومية العربية ؟ متى كان ذلك ؟

قالوا هذا الكلام بوحيٍ من أثر ردّة الفعل التي طفحت بها نفوسهم ، وانساقوا وراء العاطفة ووراء الدعاية . . دون أن يسبروا غور الحقيقة ، ودون أن يكشفوا عما وراء الأكمة من بواعث ومؤامرات . .

انساقوا وراء الفتنة المسيّرة من قبل الماسونية اليهودية ينفخون في الرماد ، ويثيرون في الجو الضباب ، ويبعثون في الناس فلسفة القومية العربية حتى يجعلوا منها ديناً مكان دين ، وعقيدة محل عقيدة . .

والغريب العجيب ـ لمن لا يعرف مخطط الكيد ـ أن كلتا القوميتين المتعارضتين المتناقضتين : التركية والعربية اتجهتا في الهجوم على هدف واحد ألا وهو الخلافة الإسلامية المتمثلة في السلطان عبد الحميد !! . .

فقد كان دعاة القومية التركية الطورانية يتهمون السلطان عبد الحميد بممالأة العرب ، والانحياز لهم ، وشقّ سبيل السيطرة والنفوذ أمامهم . . على حين يعتقد دعاة القومية العربية أن السلطان عبد الحميد كان مستعمراً تركياً وكان يبسط سلطان القومية التركية على الأمة العربية باسم الخلافة ، وباسم الدعوة إلى الجامعة الإسلامية . . وإن كلاً من الخلافة والجامعة الإسلامية ليستا سوى مسوغ لفرض القومية التركية الطورانية على العرب !! . .

وفي الحقيقة أن كلاً من دعاة القومية التركية ، والقومية العربية كانا مسخّرين تسخيراً بارعاً محكماً من قبل الثلاثي الماكر الخبيث : اليهودية ، والماسونية ، وبريطانيا ، وبتعبير أدقّ كانا مسخّرين من قبل اليهودية التي تقوم إذ ذاك بأخطر دور على أوسع نطاق للانقضاض على فلسطين ، ولإقامة دولة إسرائيل !! . .

وهكذا هبت الأعاصير في وجه الخلافة من كل جانب خدمة لليهودية التي تأبى إلا الاستيلاء على فلسطين لتنفيذ مخططاتها التوسعية من الفرات إلى النيل !! . .

ومن جرّاء هـذه الأعـاصير المـدمّرة على الخـلافـة ، انتـابت الدولة الإسلاميـة هزه ثم سرى فيهـا زلزال ، ثم حل بهـا الـدمـار ولا حول ولا قوة إلا بالله .

إذاً لقد تكسر الطوق المتمثل بالخلافة الـذي لم يستطع « قّره صو » ولا « هرتزل » . . أن يفتح في أى جـانب منـه أى منفـذ إلى فلسطين . . مـا استطـاعـوا أن يفتحـوا المنفـذ إلا بعـد كسر الطوق ، والقضاء على الخلافة ، وبعثرة دولة الإسلام . . فجـاءت اليهودية بعد هذا التبعثر تدلف إلى فلسطين وتهاجر إليهـا ـ بعـد الحرب العالمية الثانية ـ بخطى هادئة ثابتة ، وراحت بريطـانيـة تتسلـل إلى مستعمراتهـا التي كانت تحكُم فيهـا وجـاءت فرنسـا لتتنـاول قسمتهـا من الغنيمـة . . وكأن لسـان حـال هؤلاء جميعـاً يقول للمسلمين : اهتفوا الآن بقومياتكم مـا طـاب لكم الهتـاف مـا دام طوق الخلافة قد تكسر ، والشمل قـد تبعثر ، وفلسطينكم قـد ضاعت ، واسرائيل قد قامت . .

هذا الذي ذكرناه من نشأة القومية ، وخطة التآمر .

وهدف اليهودية . . حقيقـة ثابتة لاينكرها إلا من عصب عينيه

عن رؤية الحق الأبلج المبين ، أو كان جاحداً للبديهات المسلم بها !!! .

☆ ☆ ☆

٣ ـ ما هي عناصر القومية وما هو الرد عليها ؟

والآن أريد أن أناقش هؤلاء القوميين مناقشة منطقية هادئة عسى أن يتقبلوا الحق على ضوء الحجة الدامغة ، وصوت المنطق المدعوم بالدليل !! . .

دعاة القومية مختلفون فيما بينهم في تحديد العناصر التي تتألف منها القومية ، وفي تقييم الأسس التي ترتكز عليها . .

واختلافهم هو : هل العناصر التي تتكون منها القومية هى : العرْق ، أم اللسان ، أم التاريخ ، أم المصالح المشتركة ، أم الأرض والوطن ، أم هذه الأمور كلها ؟ .

والأن نأتي على مناقشة كل عنصر من هذه العناصر باختصار :

● **فنظريـة العرق** تقـوم على وجـود اجتماع الأمـة ذات الأصل الواحد على قومية واحدة ، فـالقوميـة الألمـانيـة مثلاً تقوم على نظرية « العِرْق الآري المختار » .

والقومية اليهودية تقوم على نظرية « اليهود في العـالم شعب الله المختار » . . . .

وهذه النظرية منقوضة من وجهين :

الأول : أن الأنساب امتزجت ، والدمـاء اختلطت . . إذلا نجـد في العـالم عِرقـاً واحـداً سليمـاً لم يختلـط بغيره من العروق الأخرى ، أو عنصراً خالصاً لم يختلط بالعناصر الأخرى .

الثاني : أن إثارة هـذه النعرات العرقيـة المزعومـة تعمق في الأمـة ، والشعـوب المختلفـة . . روح الحقـد ، والأنـانيـة ، والطائفية ، والعصبية ، والعنصرية . .

وهذا أمر مشاهد في عالم الواقع لا ينكره إلا مكابر !! . .

● **وعنصر اللغـة** عنـد هؤلاء أسـاس للوحـدة القـوميـة ،

فالأمة التي تتكلم بلغة واحدة تربطها ـ بنظرهم ـ وحدة قومية واحدة ذات أهداف واحدة . .

وهذه النظرية غير صحيحة وغير واقعية ؛ إذ واقع الحال في كثير من الأمم والشعوب يخالف هذه النظرية تماماً وإليكم بعض الأمثلة :

فبلاد سويسرا يسكنها شعب واحد ، ولكنه يتكلم ثلاث لغات أصليات مختلفات ، وسكان القارة الهندية يتكلمون بأكثر من ثلاثمائة لغة يختلف بعضها عن الآخر اختلافاً جذرياً بحيث لا يستطيع أحدهم التفاهم مع الآخر . . ، وكذا الحال في الباكستان ، فاللغات الأصلية فيها خمس لغات عداعن اللغات الفرعية ، وهى أمة واحدة ، وشعبها شعب واحد . . كما يصطدم أصحاب هذه النظرية بواقع الأمم التي تتكلم اللغة الواحدة وهي مع ذلك مختلفة فيما بينها اختلافاً في كل شيء ، فأمريكا وإنكلترا مثلاً تتكلمان اللغة الإنكليزية الواحدة ، ومع ذلك فهما شعبان مختلفان ، وأمتان متباينتان ، فلم تجمع بينهما اللغة الواحدة تحت شعار القومية المشتركة !! . .

وسؤال أخير لدعاة هذه النظرية : إن اللغة الإنكليزية اليوم أصبحت لغة عالمية ، فهل ياترى إذا تكلم العالم كله هذه اللغة يصبح أمة واحدة ذات قومية واحدة ؟ .

الجواب عند دعاة القومية !! . . .

ماذا يقولون عن رابطة اللغة في قطر كسوريا مثلاً . . فأي رابطة للغة تجمع هؤلاء الفئات مع تعدد أجناسهم واختلاف ألسنتهم ؟ .

إذ يتكلم شعبها بالعربية والكردية والتركية والشركسية والأرمنية ؟ .

لاشك أنهم لا يستطيعون الإجابة .

فدعوى أن اللغة هي العنصر الأساسي للوحدة القومية دعوى باطلة ، لاتصلح أن تقوم على أساسها فكرة القومية الواحدة .

● **وعنصر التاريخ :** عند هؤلاء أساس للوحدة القومية !! .

والرد على هؤلاء أن التاريخ إنما يصنعه الرجال ، ويسطر صفحاته على مرّ الزمن الأبطال . .

وإنما تصنعه كذلك عوامل مشتركة من عقيدة أو مصلحة أو لغة . .

وهذه العوامل لا تختّص بأمة دون أخرى . . فقد تشترك أمتان لاشتراك مصالحها فتسجلان في التاريخ صفحات ضخمة من الانتصار والعظمة والمجد والخلود . . ومع ذلك فهما أمتان متباينتان . . فإذا انتهت هذه المصالح فلا جامع بين هاتين الأمتين ، ولا ارتباط بين هذين الشعبين .

ولنضرب على ذلك مثلاً :

في الحرب العالمية الأولى قاتلت ألمانيا دول الحلفاء إلى جانب تركيا ، وفي الحرب العالمية الثانية اشتركت أمريكا وبريطانيا وروسيا في حرب ألمانية النازية ، وعند انتهاء الحرب بدأ الصراع المعادي بين هذه الدول جميعها بعد انتهاء مصالحها في عملية الحروب المشتركة . .

علماً بأنها صنعت العجائب في هذه الحقبة من التقاء المصالح

من تـاريـخ الأمم والشعـوب ، وكان عمـل هـذه الـدول مـوحـداً تاريخياً ، وملتقياً مصلحياً . . ولكن التاريخ الذي جمع بينهما في مصلحة واحدة لم يكوّن منها وحدة قومية مشتركة . .

●**وعنصر الأرض** : الـذي يجمـع الشعب في أرض واحـدة هو عامل أساسي للوحدة القومية عند هؤلاء . . ولكن دعاة هذه الرابطة الأرضية يصطدمون بواقع الأرض العربية نفسها فالأرض العربية سكنتها شعوب مختلفة ، وأقوام متباينة في فترات طويلـة من التاريخ ، فالآشوريون ، والفينيقيون ، والفراعنة . . سكنوا جميعـاً الأرض العربيـة التي نسكنهـا نحن اليـوم . . ولكننـــا نحن المسلمين وغير المسلمين لا نشعر أبداً بـأي شعور يربطنـا ويشـدنـا إلى هذه الشعوب ، ولا تتحرك قطرة من دمنـا ، ولا تقف شعرة في جسمنـا إذا ذكرت هـذه الأقـوام التي سكنت أرضنـا العربيــة قروناً عِدّة عبر التاريخ . .

ودعـاة هـذه الفكرة الأرضيـة ضـاق أفـق تفكيرهم فخرجـوا علينا بهذه الفكرة الضيقة التي لا تتمشى مع أبسط العقول السليمة ، ولا تلتقي مع المنطق المتزن الحكيم . .

فراحوا ينادون بقوميات ضيقة محدودة كارتباط المصريين بالفراعنة ، وارتباط العراقيين بالآشوريين ، وارتباط السوريين بالفينيقيين . .

وذلك ليسلخوا هذه الأمة عن الأرض العربية ، بالإضافة إلى محاولتهم سلخها عن روح الإسلام . .

وفي تقديري ، وتقدير الكثير من ذوي العقول والبصائر أن هؤلاء الداعين لمثل هذه الروابط هم مدسوسون على الأمة العربية بنظر القوميين العرب ، ومدسوسون على الأمة الإسلامية بنظر الإسلاميين . . بل أفكارهم مستوحاة من فكر استعماري ومن مخطط يهودي لجعل هذه الأمة الواحدة أمما مختلفة ، والشعب الواحد شعوباً متباينة !! . . .

ورحم الله من قال :

وما شكواي أو شكواك إلا
لفوضى في المجامع وانقسام
ترى كلاً له أمل وسعيٌ
وما لاثنين حولك من وئام

لكلّ جمـــاعـــــة فينــــا إمـــام
ولكنّ الجميــــــع بــــــلا إمـــــــام

● **وعنصر المصـالـح المشتركـة** ـ في نظر البعض ـ هـو الرابطـة التى تكوّن بين أصحـاب هـذه المصـالح الوحـدة القوميـة الواحدة .

وهذه الفكرة غير منطقية وغير واقعية أيضاً ؛ فغير منطقيـة إذ إن المصالح لا تحـديـد لهـا ولا انتهـاء . . ولكل بلـد مصلحتـه الذاتيـة الخـاصـة ، وقـد تختلف اختلافـاً كليّـاً مع مصلحـة البلـد الآخر . .

وغير واقعيـة إذ ينقضهـا الواقـع وينسفهـا من القـواعـد . . فأمريكا وروسيا مثلاً جمعتهما في يوم من الأيام المصالح المشتركـة لمقاومة ألمـانيـا النـازيـة ، ولمـا أجهزتـا على ألمـانيـا وانتهت هـذه المصالح عادتا دولتين متخاصمتين متناحرتين . .

وكـذلـك الـدول المشتركـة في ميثـاق الحلف الأطلسي تجمعهاالآن مصلحة واحدة وهي مقاومة الدول الشيوعيـة مع العلم

بأن دول هذا الميثاق مختلفة فيما بينها كل الاختلاف ومتباينة كل التباين . .

فمن المعلوم أن تركيا وأمريكا اجتمعتا على صعيد واحدفي هذا الحلف لمقاومة الشيوعية ؛ فلو أن الشيوعية انتحرت وانتهت لعادت هاتان الدولتان إلى طبيعتهما في الاختلاف والتباين والتناحر . . على المصالح الذاتية الخاصة . .

فبناءً على ما ذكرناه لا يجوز للمصالح المشتركة أن تكون أساساً للقومية في يوم من الأيام لتباينها وانهيار حجتها وعدم منطقيتها وواقعيتها !!

تلكم أهم الردود القاطعة ، وأظهر الحجج الدامغة . . على دعاة القومية في هذا الزمن . .

ولقد رأيتم ـ إخوتي الشباب ـ أن هذه العناصر التي احتجوا بها لدعم فكرتهم لا يمكن أن تصلح بحال من الأحوال أساساً للرابطة القومية ، ولا عنصراً من عناصرها . . وقد تهاوت ـ كما رأيتم ـ واحدة بعد واحدة أمام مطارق الرد والحجة ، ومعاول

المنطق والبرهان . .

فبأي حديث بعد هذا يؤمنون ؟ .

☆ ☆ ☆

٤ ـ هل يتجه العالم اليوم إلى غير فكرة القومية ؟ :

لو استعرضنا الروابط التي تجمع الشعوب اليوم ، وتربط ما بين مصالحها لرأيناها متجسدة في العقائد الفكرية والمذاهب السياسية ، والأحلاف الدولية . .

فالفكرة الشيوعية اليوم لا تقوم على أساس القومية المحدودة الضيقة ، بل تضم أقواماً من عدة أجناس وألوان من شرقي أوروبة إلى أقصى جنوب آسيا ، جعلوا قبلتهم « موسكو » ، ورائدهم مبادئ « كارل ماركس » و « لينين » وغيرهما من أئمة الفكر الماركسي المادي . . وقد أصبحت الشيوعية عقيدة في نظر أصحابها يؤمنون بها ويدافعون عنها ، ويحاربون من أجلها ويضحون في سبيلها بل هي التي تجمعهم وتوحدهم وتؤلف فيما بينهم . .

وكذلك الحال بالنسبة للفكرة الرأسمالية ، فهي لا تقوم على أساس الفكرة القومية الضيقة لأن تحت شعارها أقواماً مختلفة ، وشعوباً متباينة من أوربة وآسية . .

وكذلك الحال بالنسبة للأحلاف الدولية فهي لاتقوم على أساس الربط القومي لأن المنضوين تحت رايتها من أعراق مختلفة ، وديانات متباينة ، ولغات متعددة . .

فالقومية إذن ما كانت ، ولن تكون يوماً من الأيام أساساً للوحدة بين الشعوب ، وخصوصاً في عصر القرن العشرين الذي اتسم بأنه عصر العقائد والمذاهب والأحلاف . .

☆ ☆ ☆

٥ ـ فلماذا لا تكون المناداة بالجامعة الإسلامية ؟ :

إذا كان اليهود هم الذين اخترعوا فكرة القومية في العالم الإسلامي للوصول إلى مخططهم الرهيب في القضاء على الخلافة ، وإقامة دولة إسرائيل . .

وإذا كانت العناصر التي قامت عليها القومية قد تهاوت أمام

سلطان الحق ، واستقراء الواقع . .

وإذا كانت فكرة القوميات قد تضاءلت تحت لواء العقائد والأفكار ، وشعار التكتلات والأحلاف . .

وإذا كان الانحياز إلى مذاهب اقتصادية ، أو الانخراط في أحلاف سياسية عالمية . . أصبح طابع العصر وشعار القوة . . !! . .

إذا كان الأمر كذلك فلماذا ينادي دعاة القومية بالقومية ؟ ولماذا ينساق الشباب وراء دعاياتها المنمقة ، وشعاراتها الزائفة . . ؟

ولماذا لا ينادي كل مواطن في بلاد الإسلام على اختلاف لغاتهم وتباين أجناسهم . . بفكرة الجامعة الإسلامية التي إن تحققت كان للمسلمين قوة ، وقامت لهم دولة . . تضاهي الدول القوية في عزتها وكبريائها . .

ذلك لأن التكتل الإسلامي إذا تحقق في العالم يبدأ شبه متصل من مراكش إلى تونس إلى الجزائر إلى ليبيا إلى وادي النيل إلى فلسطين إلى سوريا إلى لبنان إلى شرق الأردن

والعراق ، إلى نجد والحجاز إلى اليمن إلى إيران إلى تركيا إلى أفغانستان إلى أندونيسيا . . . وتكون هذه الكتلة الإسلامية المتينة المتراصّة حداً وسطاً ، بل وحاجزاً كاملاً يفصل بين الكتلتين : الشرقية والغربية على حدّ سواء . .

وهذه الكتلة الإسلامية المترامية الأطراف هي في الواقع مختلفة الأجناس ، متباينة اللغات . . ولكن يجمع بينها رباط العقيدة الإسلامية ، وتوحّد قوانينها مبادئ الشريعة الغراء ، هذه الشريعة تملك من النظم والمبادئ والأحكام ما يجعلها تتصف بالشمول والتجدد ، وتتسم بالربانية والعالمية ، وتحمل في طبيعتها خصائص نموها وامتدادها . . إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . .

وقد شهدت لصلاحية هذه الشريعة ، وخلودها المستمر على مر الزمان والأيام . . المؤتمرات الدولية ، وشهد لها المنصفون من فلاسفة الغرب ، وشهد لها من عرف الواقع ، من عرف أن هذه النظريات القانونية التي يباهي بها العصر الحديث ، وتفتخر بها الفلسفات التشريعية . . . قد سبقت بها الشريعة الإسلامية

الغراء قبل أربعة عشر قرناً :

كنظريـة المسـاواة ، ونظريـة الحريـة ، ونظريـة الشورى (١) . .

هذا كله مما لا يترك مجالاً لمنصف في أن يشكّ لحظة بصلاحية هذا الإسلام ، وخلود مبادئه ، وتجدد أنظمته ، وملكة تجدده ، وعظمة تشريعه . . على مدى الزمان والأيام !! . . .

☆ ☆ ☆

٦ ـ مـاذا صنعت العقيـدة في المسلمين عبر التاريخ ؟ :

إن العقيدة الإسلامية التي تأصلت في نفوس الرعيل الأول من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم بإحسان . . هي التي وحدتهم بعد شتات ، وجمعتهم بعد تفرق . . وهي التي دفعتهم بعزم وإخلاص . . . لأن يخرجوا من محيطهم الضيق ، وبيئتهم

(١) ارجع إلى ما كتبناه في كتبنا : « حتى يعلم الشباب ، « الإسلام شريعة الزمان والمكان » ، « قصة الهداية » . . تجد فيها بحث « صلاحية الشريعة وخصائصها . . » وافياً مستفيضاً إن شاء الله .

المغلقة . . إلى مجاهل الأرض ، وآفاق الدنيا ، يمدنون الأمم ، ويكرمون الإنسان ، ويفرضون التوحيد ، ويرسون في العالمين قواعد المدنية والحضارة ، وينشرون في الوجود أضواء العلم والمعرفة ، ويسطرون على جبين الزمن مبادىء الحرية والعدالة والمساواة . . ويخرجون الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام . .

فيما بين عشية وضحاها ـ بعد ظهور الإسلام ـ قامت للمسلمين دولة وسلطان ، وصارت لهم حكومة وقيادة ، وتحققت لهم أمجاد وسيادة . .

ولم ينتقل رسول الله ﷺ إلى الملأ الأعلى حتى انتشر الإسلام في الجزيرة العربية ، ودخل اليمن ، ووصل إلى تهامة ونجد والبحرين . .

وفي عهد الخلفاء الراشدين أخضع المسلمون المملكتين العظمتين : فارس والروم ، وامتدّ ظلهم إلى بلاد الروس شمالاً ، ودخلت في عدلهم بلاد الشام ومصر وبرقة وطرابلس . . وبقية

إفريقية . . وذلك كله في خمس وثلاثين سنة .

وفي عهد بني أمية استبحر ملكهم ، وامتدّ سلطانهم إلى أن دخلوا بلاد السند ، ومعظم بلاد الهند ، ووصلوا إلى حدود الصين شرقاً ، ودخلوا بلاد الأندلس غرباً . .

وفي عهد بني العباس استطاع « هارون الرشيد » أن يصور للعالم بسطة المجد الإسلامي الممتدّ شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً . . فلم يجد غير أن يخاطب السحابة التي تمر به ولا تمطره فيقول لها :

« أمطري حيث شئت فإن خراجك سيحمل إلينا » .

فبالعقيدة الإسلامية وحدها أحرز المسلمون هذا النصر المؤزر ، والفتح المبين ، والغلبة الظافرة ، والعزة الظاهرة . . على طواغيت الفرس ، وجبابرة الروم ، متألهي العالم !! . .

وبالعقيدة وحدها أرجع المسلمون بلاد العرب التي تشمل مصر والعراق والشام . . تحت سلطان القرآن العربي ، واللغة

العربية ، وحاكمية الإسلام !! .

وبالعقيدة وحدها دخل في الإسلام أقوام متباينة ، وأجناس مختلفة ، ولغات عِدّة . . وجاهدوا في صفوف المسلمين صادقين مخلصين لإعلاء كلمة الله ، وباعوا أنفسهم لله ، وتوجوا رؤوسهم بعزة الإسلام ، واستهانوا بالحياة الزائلة والعمر المحدود . .

وبالعقيدة وحدها وصل « عقبة بن نافع » إلى آخر الغرب ، ووقف على شاطىء المحيط الأطلسي وقال قولته الخالدة :

« اللهم رب محمد لولا هذا البحر لفتحت الدنيا في سبيل إعلاء كلمتك ، اللهم فاشهد » .

وبالعقيدة وحدها وصل« قتيبة الباهلي » إلى آخر الشرق ، وأبى إلا أن يدخل بلاد الصين ، فقال له أحد أصحابه محذراً مشفقاً : « لقد أوغلت في بلاد الترك ياقتيبة ، والحوادث بين أجنحة الدهر تقبل وتدبر . . » . .

فأجابه قتيبة والإيمان قد بلغ منه كل مبلغ :

« بثقتي بنصر الله توغلت ، وإذا انقضت المدة لم تنفع العدة » !!

فقال هذا المحذر والمشفق : « أسلك سبيلك حيث شئت ـ ياقتيبة ـ فهذا عزم لا يفله إلا الله » !! .

وبالعقيدة وحدها ساهم في بناء الحضارة الإسلامية أقوام أسلموا ليسوا من جلدتنا ، ولا يتكلمون بألسنتنا ، وقد خلّفوا آثاراً حضارية خالدة ، ما زالت الأجيال الإنسانية في كل زمان ومكان تنهل من معينها ، وترتوي من سلسبيلها !! . .

وهذا ما شهد له المنصفون من بناة الحضارة الحديثة في الشرق والغرب ..

☆ ☆ ☆

٧ ـ لماذا يريد القوميون فصل العقيدة عن القومية ؟ :

فإذا كان للعقيدة الإسلامية هذه الخصائص وهاتيك

المزايا . . فلماذا يريد دعاة القومية فصل العروبة عن الإسلام ؟ ولماذا يضعون الحواجز والسدود بين روابط القومية وتشريع السماء ؟ .

في الحقيقة إننا أصبحنا نشك في نيات هؤلاء القوميين العرب ، وفي إخلاصهم لوطنهم ! .

وهذا الشك مبعثه أمران :

الأول : تنكرهم للإسلام مع ما في هذا الإسلام من معطيات الحضارة والتجدد ، ومقتضيات الشمول والخلود . .

الثاني : تنكرهم للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية . . لعزلهم غير العرب المسلمين عن صناعة التاريخ والمشاركة الحضارية عبر القرون . . .

ومما يؤجج لواعج الشك في النفوس المؤمنة أن نجد أكثر المؤسسين للأحزاب القومية في بلاد الإسلام هم من العناصر غير المسلمة !! ..

فهل ياترى جاءت هذه الموافقة من قبيل المصادفة ، أم وراء الأكمة ما وراءها ؟ .

- فزعيم القوميين العرب « جورج حبش » وهو غير مسلم .

- وزعيم القوميين السوريين « أنطوان سعادة » وهو غير مسلم .

- وزعماء قوميون آخرون لهم في البلاد شهرة كبيرة هم غير مسلمين أيضاً .

فالذي تدل عليه الظواهر أن القومية التي ينادي بها هؤلاء متوافقة - ان لم تكن مرتبطة - مع اليهودية ، والماسونية ، والصليبية . . في محاربة الإسلام ، وتحويل الجيل المسلم إلى جيل ملحد متحلل . . لا يؤمن بعقيدة ربانية ، ولا يتطلع إلى مثل أعلى ، ولا يسعى إلى وحدة متراصة شاملة تضم شمل المسلمين ، وتجمع شتاتهم تحت راية الإسلام !! .

فالذي أخلص إليه بعد ما تقدم :

أن أولئك الذين يدعون إلى فكرة القومية منسلخة عن العقيدة الإسلامية في بلاد الإسلام ما هم في الحقيقة إلا منفذون من حيث يعلمون أو لا يعلمون لمخططات اليهودية والماسونية والصليبية والاستعمار . . لتحل فكرة القومية محل العقيدة الإسلامية ، وليجعلوا منها ديناً مكان دين وعقيدة محل عقيدة . .

والهدف من وراء ذلك : زعزعة العقيدة الإسلامية في النفوس ، وإبعاد التشريع الإسلامي عن واقع الحياة ؛ وفصل الدين عن الدولة ؛ وإثارة النّعرات العِرْقيّة ، والعصبيّة في المجتمعات الإسلامية ؛ وإقامة دولة إسرائيل من الفرات إلى النيل وتكوين جيل علماني متحلل ينساق وراء الشكّ والإلحاد ، ويجري وراء الشهوات والإباحية .وتعميق مبدأ « فرق تسد » في أمة الإسلام . .

وقد استطاعت اليهودية والماسونية والاستعمار . . أن تصل ـ بواسطة عملائها ـ إلى بعض ما تهدف إليه من مخططات حاقدة ، ومؤمرات لئيمة فوق أرض الإسلام : أزالت

الخلافة ، وأقامت دولة إسرائيل ، وزرعت بين أبناء الأمة الواحدة الضغائن والأحقاد ، وأغرقت المجتمعات الإسلامية بموجات التحلل والإباحية ، وفصلت الدين عن الدولة ، وأبعدت التشريع الإسلامي عن واقع الحياة ، وشككت كثيراً من شبابنا وشابّاتنا بصلاحية الإسلام !! .

وهذا أمر يعرفه القاصي والداني من المسلمين ، ولا ينكره إلا مكابر !! .

ولكن الذي يبشر بالخير ـ ياشباب ـ أن أبناء الجيل الإسلامي اليوم بدأوا يدركون أبعاد هذه المؤامرة والمخططات . . وأصبحوا يعرفون ماذا يخطط أعداء الإسلام لدينهم وأمتهم ؟ وماذا يريدون لمقدساتهم وأوطانهم ؟ . .

وها أنا ذا ألمح بعين التفاؤل والأمل طلائع الإسلام تنطلق من أرض الإسلام هنا وهناك وفي كل مكان تردّد على مسامع الزمن : « الله غايتنا ، والقرآن دستورنا ، والرسول قدوتنا ، والجهاد سبيلنا ، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا » .

وإن شاء الله فلن تمضي سنوات معدودات حتى نرى بأم

أعيننا عروش الطواغيت قد تهاوت من عليائها ، وقامت على أنقاضها دولة الإسلام المرتقبة تظلّلها الخلافة الراشدة وترفرف عليها راية لا إله إلا الله محمد رسول الله . . إيذاناً بالنصر الأكبر ، والعزة الإسلامية الشامخة . . وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . .

☆ ☆ ☆

٨ ـ ما هي حقوق غير المسلمين في ظل الإسلام ؟ :

من الحجج الواهية التي يتذرّع بها القوميون قولهم : ماذا نصنع بالمواطنين : اليهود والنصارى إذا حلت في البلاد الإسلامية الشريعة الإسلامية محل الرابطة القومية ؟ .

هل يجبرون على الإسلام ؟ أم يخرجون من الوطن ؟ أم ماذا !! .

نقول : لا يجبرون على الإسلام ، ولا يخرجون من الوطن ، وإنما يعيشون تحت ظلال العقيدة الإسلامية معززين مكرمين ضمن حقوق عادلة ، ومبادىء ثابتة . . فرضها نظام الإسلام ،

وأوجبتها شريعة الله .

وإليكم أهم هذه الحقوق والمبادئ :

١ ـ يعيشون في الوطن الإسلامي أحراراً في ظل عقيدتهم التي يدينون بها لا يجوز لأحد من المسلمين أن يكرههم على الإسلام ، ولا أن يضطرهم إلى اعتناقه بالتهديد أو الإغراء . . لقوله تبارك وتعالى :

﴿ **لاإكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي** ﴾ (١)

ومما يؤكد حرية أهل الكتاب الدينية[أن السلطان « سليم الأول » العثماني رأى أن الأروام ، والبلغار ، والأرمن . . قد كثروا في مملكته كثرة مزعجة ، وأقضّوا مضجع الدولة الإسلامية بفتنهم ومؤامراتهم ، فقرّر أن يجبرهم على الإسلام أو يخرجهم من مملكته ؛ فعارض شيخ الإسلام « زنبيلي علي أفندي » معارضة شديدة ، وقال له بلهجة شديدة قاطعة : وليس لك على اليهود والنصارى إلا الجزية ، وليس لك أن تزعجهم عن أوطانهم فرجع السلطان سليم عن عزمه امتثالاً لإرادة الشرع] .

---

(١)   البقرة : ٢٥٦ .

٢ ـ يعيشون أيضاً أحراراً في معابدهم وأحوالهم الشخصية . .

جاء في معاهدة عمر رضي الله عنه لأهل فلسطين مايلي :

« هذا ما أعطى عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان . . أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم . . ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضارّ أحد منهم » .

٣ ـ يجب المحافظة على أموالهم ودمائهم وأعراضهم . . .

جاء في « نصب الراية » عن علي كرم الله وجهه : « وإنما بذلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا ، ودماؤهم كدمائنا » ؛ وجاء في شرح البخاري للعيني : عن عبدالله ابن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « من قتل معاهداً بغير حق لم يَرِح رائحة الجنة ، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً » .

٤ ـ يجب حمايتهم من كل ظلم أو اعتداء أو اغتصاب . .

وفي رواية البخاري : كان فيما أوصى به عمر بن الخطاب رضي الله

عنه عند وفاته : « أوصي الخليفة من بعدي بذمة رسول الله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ، وأن لا يكلفهم فوق طاقتهم » ؛ وروى أبو داود عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من ظلم معاهداً ، أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ شيئاً بغير طيب نفسٍ منه فأنا حجيجه يوم القيامة » .

٥ ـ يجب أن يعطوا من الحقوق العامة ما يعطى للمسلمين سواء بسواء . .

وكنموذج لمعرفة حقوق الذميين الناتجة من عَقد الذمة نذكر جانباً مما جاء في كتاب النبي ﷺ لأهل نجران كما جاء في كتابي « فتوح البلدان » و « الخراج » : [ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمّة محمد ﷺ على أموالهم ، وأنفسهم ، وأرضهم ، وملتهم ، وغائبهم ، وشاهدهم ، وعشيرتهم ، وبيعهم (كنائسهم) ، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير . . لا يغير أسقُف من أساقفتهم ، ولا راهب من رهبانهم . . ولا يحشرون ولا يعشرون ولا يطأ أرضهم جيش ، ومن سأل منهم حقاً فبينهم النَّصف (العدل) غير ظالمين ولا مظلومين . .] .

٦ ـ تؤخذ الجزية المالية بنسبة محدودة من الرجال القادرين على الكسب فقط مقابل حمايتهم .

وكما قرر الفقهاء : [تؤخذ الجزية من الفقير القادر على الكسب ما يساوي (١٢ درهماً) (١) ، ومن متوسط الحال ما يساوي(٢٤ درهماً) ، ومن الغني ما يساوي (٤٨ درهماً) يؤخذ هذا كله من كل واحد مرة واحدة في العام . .]

وتسقط الجزية بالعمى ، والزمانة المرضية ، والعجز والشيخوخة ، ولا تضرب الجزية على نساء أهل الكتاب ، ولا على صبيانهم حتى يبلغوا ، ولا على عبيدهم ومجانينهم وأصحاب الصوامع من الرهبان . . .

وإذا أردنا أن نوازن بين ما يؤخذ من المسلم من التزامات مالية وبين ما يؤخذ من أهل الكتاب من جزية فنجد أن المقدار

---

(١) الدرهم يساوي ثلاثة غرامات من الفضة تقريباً ، فيؤخذ منهم ما يعادل الغرام على سعر السوق الحاضر ، وبالعملة الحاضرة ، سعر الغرام يساوي اليوم بالعملة السورية ـ ١٧٥ ـق.س.

المالي الذي يؤخذ من أهل الكتاب ضئيل جداً بالنسبة للمسلم ، ذلك لأن المسلم يؤخذ منه فريضة الزكاة على حسب غناه ، ويؤخذ منه ما يسد الحاجة في أيام الكوارث والحوائج ، ويؤخذ منه ما يلزم المجاهدين في أوقات الحروب مع الأعداء . .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الجزية تسقط عن الذمي إذا أسلم ، لما روى الإمام أحمد وأبو داود :

« وليس على من أسلم جزية »

ومما يرويه التاريخ بملء الافتخار والاعتزاز أن عاملاً (والياً) من عمال عمر بن عبد العزيز كتب إلى عمر : أن الدخول في الإسلام أضر بالجزية ففرضها على من أسلم ؛ فأرسل إليه عمر بن عبد العزيز يقول له : قبح الله رأيك . .

إن الله سبحانه وتعالى لم يرسل محمداً ﷺ جابياً وإنما أرسله هادياً . .

فإذا أتاك كتابي هذا فارفع الجزية عمن أسلم من أهل الذمة !! . .

٧ ـ يجب تحقيق التكافل لعاجزهم وضعيفهم ومريضهم .

ذكر « أبو يوسف » في كتابه « الخراج » : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب المساجد بسبب الجزية والحاجة ، والسن ؛ فقال له عمر :

« ما أنصفناك إن كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك ، ثم ضيعناك في كبرك » .

ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه ، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه !! . .

وما ذكره « أبو يوسف » في كتاب الخراج : « أن عمر رضي الله عنه مر على قوم مجذومين من النصارى ،فأمر بمعالجتهم ، وفرض لهم ما يكفيهم من بيت المال » .

٨ ـ يأمر الإسلام بمحاسنتهم وملاطفتهم وتحقيق الخير لهم . .

ومما كتبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص عامله على مصر : [« إن معك أهل ذمة وعهد ، وقد

أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ، وأوصى بالقبط فقال : « استوصوا بالقبط خيراً ، فإن لهم ذمة ورحماً] .

تلكم أهم الحقوق العادلة التي منحها الإسلام لأهل الكتابين : اليهود والنصارى ، حينما يريدون أن يعيشوا في كنف الدولة الإسلامية ، ويرفلوا في رياض السماحة والعدل . . وفي تقديري وتقدير الكثير من العقلاء والمنصفين أن هذه الحقوق التي قننتها الشريعة الغراء لأهل الذمة والعهد ؛ لا يمكن بحال أن تراها أية أقلية تعيش في كنف دولة قوية لها بين الأمم كيان وبين الدول سلطان ! .

فلنسأل دعاة القومية ماذا يعلمون عن تاريخ الوحدة الإسلامية وتجربتها خلال الأجيال وتتابع القرون ؟

هل سمعوا أن كتابياً واحداً من اليهود والنصارى قد أصابه أي حيف أو ظلم في ظلال الحكم الإسلامي والوحدة الإسلامية الشاملة ؟

هل أنبأهم التاريخ أن المسيحيين ضاقوا ذرعاً في ظلال

العقيدة الإسلامية ، كما يضيق ذرعاً أرباب القوميات الصغيرة في ظلال القومية العربية ؟

هل يستطيعون أن ينكروا ما سجله التاريخ من شكر النصارى لعدالة الإسلام ، وسماحة المسلمين تحت راية الإسلام لا شعار القومية ؟

وإليكم الشواهد التاريخية :

- يقول الأستاذ « أرنولد » في كتابه « الدعوة إلى الإسلام » صفحة : - ٦٦ و ٦٧ و٦٨ - :

[ولما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن ، وعسكر أبو عبيدة في « فحل » ، كتب الأهالي المسيحيون في هذه البلاد إلى العرب المسلمين يقولون : « يامعشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا ، أنتم أوفى لنا ، وأرأف بنا ، وأكف عن ظلمنا ، وأحسن ولاية علينا ، ولكنهم غلبونا على أمرنا ومنازلنا . .]

وغلق أهل حمص أبواب المدينة دون جيش « هرقل » وأبلغوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحب إليهم من ظلم الإغريق

وتعسفهم . . وإن كانوا على دينهم . .» .

ـ ويقول « غوستاف لوبون » : [ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب] .

ـ ويقول البطريك « عيشويابة » عام ـ ٦٥٦ ـ هـ [إن العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم ، يعاملوننا بعدالة كما تعرفون ، إنهم ليسوا أعداء للنصرانية بل يمتدحون ملتنا ، ويوقرون قديسينا ، ويمدون يد العون إلى كنائسنا وأديرتنا] .

من هؤلاء الذين شهدوا هذه الشهادات الصادقة المخلصة . . ؟

إنهم المنصفون من رجال الدين المسيحي والمستشرقين أملى عليهم إنصافهم كما أملت عليهم ضمائرهم أن يقولوا كلمة الحق لله وللتاريخ !! . .

شهد الأنام بفضله حتى العدا
والفضل ما شهدت به الأعداء

ـ لمـا غـزا التتـار بـلاد الإسـلام ، ووقـع كثير من المسلمين والنصـارى في أسرهم ، ثم عـادت الغلبـة للمسلمين ودان ملـوكهم بـالإسلام ، خـاطب شيخ الإسلام أمير التتـار بـإطلاق الأسرى ؛ فسمح له الأمير التتاري بفك أسرى المسلمين ، وأبى أن يسمح بفك أهل الـذمـة فقـال لـه شيخ الإسلام : لابـد من فـك الأسرى من اليهود والنصارى ، لأنهم أهل ذمتنا ، فأطلقهم له !! .

ـ وقبل قليل استمعنا إلى ما قالـه شيخ الإسلام « زنبيلي علي أفنـدي » للسلطـان سليم الأول حينمـا حـاول أن يكره البلغـار والأرمن . . على الإسـلام ، وكيف امتثـل السلطــان إرادة الشرع ؟ .

ـ ومما ذكره التاريخ بملء الاعتزاز أن الخليفة الراشد عمر بن الخطـاب رضي الله عنـه اقتص من ابن واليـه عمرو بن العـاص لضربه مصرياً قبطيـاً بـدون حق ، وبعـد الاقتصـاص التفت عمر إلى عمرو ، وقـال لـه قـولتـه الخـالـدة : « يـاعمرو متى استعبـدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » .

ـ والكثير يعلم موقف علي كرم الله وجهـه وهو أمير المؤمنين

حين مثل هو ويهودي أمام القضاء في قضية « درع » كان قد افتقدها في أثناء ذهابه إلى صفين ، فحكم القاضي « شريح » بالدرع لليهودي ، لكون الأدلة لم تتوفر لديه أن الدرع درع أمير المؤمنين .

والرواية تقول : إن اليهودي أعلن إسلامه في مجلس القضاء لما رأى العدالة والنزاهة في أجلى صورها وأسمى معانيها ، واعترف بأن الدرع ليست درعه وإنما درع أمير المؤمنين ، كان قد التقطها من الأرض عندما تحرك جيش علي رضي الله عنه إلى صفين !! .

ألا فليعلم دعاة القومية هذه المواقف المشرفة لخلفاء الإسلام عبر التاريخ ، وليعلموا أيضاً أن الإسلام حين تكون له الهيمنة والحاكمية يجد غير المسلمين في ظلال حكمه ، ومعاملة ولاته كل عطف وإكرام ورعاية ، بل يجدون كل رحمة وعدل وأنصاف ! ؟ !! .

وهذا رد قاطع على من يقول : ماذا نصنع باليهود والنصارى إذا قام في المجتمعات الإسلامية حكم الإسلام وهيمنت في البلاد العربية الشريعة الإسلامية ؟

وصدق من قال : « ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب » !! . .

فبأي حديث بعد هذا يؤمنون ؟

☆ ☆ ☆

٩ ـ هل القومية تتنافى مع نظام الإسلام ؟ :

على فرض أن القومية لم تكن فكرة يهودية ، ولا هدفاً استعمارياً . . هل تتعارض مع الأسلام كفكرة ؟ وهل تلتقي مع دعوته كمبدأ ؟

هذا ما أريد الإجابة عليه مفصلاً وعلى الله قصد السبيل :

إن فكرة القومية كمبدأ وعقيدة تتنافى مع مبادىء الإسلام في النقاط التالية :

● لكونها فكرة مستوردة وافدة لاتمت إلى العقيدة الإسلامية بصلة أو سبب :

والإسلام لا يسمح للمسلم بحال أن يستقي عقيدته من غير

عقيدة الإسلام ، وأن يستمد منهج حياته من غير مناهج القرآن . . لأن في ذلك زعزعة لعقيدته ، وتمييعا لشخصيته ، وقتلا لذاتيته . .

ومما يؤكد هذا النهي :

ـ ما روى الإمام أحمد عن جابر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب ، فقرأه على النبي ﷺ ، قال : فغضب وقال : « أتتهوكون فيها ـ أي أتتشككون في ملتكم ـ ياابن الخطاب ؟ ، والذي نفسي بيده لو أن موسى بن عمران كان حيّاً ما وسعه إلا أن يتبعني » !! .

ـ وأخرج الفريابي والدارمي وأبو داود وابن جرير . . عن يحي بن جعدة قال : جاء أناس من المسلمين بكتف (عظم) ، قد كتبوا فيها ما سمعوه من اليهود ، فقال رسول الله ﷺ : كفى بقوم حمقاً أو ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إليهم إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم فنزلت ﴿ **أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى**

لقوم يؤمنون ﴾ (١) .

في « شعب الإيمان » عن الزهري أن حفصة جاءت إلى النبي ﷺ بكتاب من قصص « يوسف » عليه السلام في كتف (مكتوب في عظم كتف) ، فجعلت تقرؤه عليه ، والنبي ﷺ يتلون وجهه ، فقال : « والذي نفسي بيده ، لو أتاكم يوسف وأنا بينكم فاتبعتموه وتركتموني ضللتم ، أنا حظكم من النبيين ، وأنتم حظي من الأمم » .

فهذا الموقف من نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه يؤكد تأكيداً جازماً أنه يحرم على المسلم أن يرغب عما جاء به النبي ﷺ إلى ما جاء به غير المسلمين من أصحاب الملل الأخرى ، والعقائد الأخرى . . لأن في ذلك انسياقاً وراء عقائدهم ، وانضواء تحت أفكارهم وشعاراتهم . .

● لكونها من العصبية ودعوى الجاهلية :

والإسلام يعتبر كل دعوة إلى رابطة الجنس أو النسب أو

---

(١) العنكبوت : ٥١ .

العشيرة أو المصاهرة أو الوطنية أو المصالح المشتركة . . دعوة جاهلية عمياء ، لقوله تبارك وتعالى :

﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ (١) .

- ففي قوله تعالى : **﴿ إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم . . ﴾** إشارة إلى رابطة الجنس والنسب .

- وفي قوله : **﴿ وأزواجكم ﴾** إشارة إلى رابطة المصاهرة .

- وفي قوله **﴿ وعشيرتكم ﴾** إشارة إلى رابطة القومية أو القبلية . .

وفي قوله : **﴿ وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ﴾** إشارة إلى رابطة المصالح الاقتصادية .

---

(١) التوبة : ٢٤ .

ـ وفي قولـه : ﴿ **ومسـاكن ترضـونهـا** ﴾ **إشـارة إلى رابطة الأرض والوطنية** . .

ـ وفي قولـه : ﴿ **أحب إليكم من الله ورسولـه وجهـاد في سبيله** ﴾ لفتة صريحة إلى رابطة العقيدة الإسلامية . .

وكأن القرآن الكريم يقول للمسلم : في حال الانسياق الأعمى وراء أي رابطـة من روابـط الجنس أو النسب أو المصـاهرة أو القومية أو المصالح المشتركـة أو الأرض أو الوطنيـة . . وفي حـال اعتبـار هـذه الروابـط أو واحـدة منهـا فـوق رابطـة العقيـدة والإسـلام . . في حـال هـذا الانسيـاق والاعتبـار يخرج المسلم ـ لاشـك ـ من الإسلام ويتخبـط في ديـاجير الـزيـغ والضـلال . . فليتربص حتى يأتي الله بعذابه ، والله لا يهدي القوم الفاسقين . .

النبي عليه الصلاة والسلام وصم الأوس والخزرج بالجاهليـة ، لما تعصبوا لأقوامهم ، وتنادوا إلى السلاح :

روى ابن جرير في تفسيره : أن يهـوديـاً رأى الأوس والخزرج يتحـدثون مؤتلفين متفقين تحت رايـة أخـوة الإسـلام ، فغـاظـه ذلـك فقـال : « **لألقين العـداوة بينهم** » ، فمضى حتى

جلس إليهم ، وأخـذ يـذكرهم بحروب « بعـاث » التي وقعت بينهم ، ومـا قيـل فيهـا من الشعر . . حتى أحمى أنفهم ، وأثـار حفيظتهم . . فنـادى « الأوس » : يـالـلأوس ، ونـادى « الخزرج » : يـاللخزرج ! . . ، وحملوا السـلاح وكادت أن تقـع بينهم فتنـة ، فبلغ ذلـك رسـول الله ﷺ ، فخرج وأصلـح بينهم وقال : « أبدعوى الجاهلية وأنـا بين أظهركم بعـد إذ هـداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به ، وقطع عنكم أمر الجاهلية واستنقـذكم بـه من الكفر ، وألف به بينكم ؛ ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ؟» .

فـأنـزل الله سبحـانـه هـذه الآيـات من سـورة آل عمران

﴿ يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقـاً من الـذين أوتوا الكتـاب يردوكم بعـد إيمـانكم كافرين ، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسـولـه ومن يعتصم بـالله فقـد هـدي إلى صراط مستقيم ، . . . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمـة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانـاً ،

وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها . .﴾
آية : ١٠٠ ـ ١٠٣ .

فنزلت هذه الآيات تؤكد للمؤمنين في كل زمان ومكان أن الانضواء تحت راية العصبيات القبلية ، والانسياق وراء الشعارات الجاهلية . . ردة بعد الإيمان وانقسام بعد الوحدة . .

والرسول عليه الصلاة والسلام اعتبر كل دعوة إلى عصبية الجنس ، والاعتزاز بنسب القوم أو العشيرة عودة إلى الجاهلية الأولى في تعصبها وحميتها وضلالها :

ـ روى أبو داود وغيره أن النبي ﷺ قال : « من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بِهَنِ أبيه ولا تكنوا » أي أسمعوه من الكلام القبيح ما يكره .

ـ وروى أبو داود وابن ماجه أنه عليه الصلاة والسلام لما سئل عن العصبية قال : « أن تعين قومك على الظلم » .

ـ وروى أبو داود عنه عليه الصلاة والسلام قوله : « ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ،

وليس منا من مات على عصبية » .

- وروى مسلم عنه ﷺ أنه قال : « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ، فمات مات ميتة جاهلية ، ومن قاتل تحت راية عمياء يغضب لعصبة ، أو يدعو إلى عصبة ، أو ينصر عصبة . . فقتل قتلة جاهلية ؛ ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ، ولا يتحاشى من مؤمنها ، ولا يفي لذي عهده فليس مني ولست منه » .

فمن هذه الأحاديث يتبين أن كل من دعا إلى رابطة نسبية ، أو آصرة وطنية ، أو عقيدة مذهبية ، أو فكرة قومية . . . وتعصب لها ، وجعلها أصلاً في الموالاة أو المعادة ، والتناصر أو التخاذل ، والمحبة أو الكره . . . . يكون داعياًإلى العصبية ، متعزّياً بعزاء الجاهلية ، خارجاً عن سنن الإسلام !! .

● لكونها جاحدة أخوّة الإسلام :

والإسلام يعتبر رابطة الأخوة الإسلامية فوق رابطة الدم وآصرة العشيرة . . لقوله تبارك وتعالى :

﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ (١) .

ويجعل ميزان التفاضل الحقيقي بين الأجناس والألوان التقوى والعمل : « **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** » .

والرسول ﷺ أعلن قبل أربعة عشر قرناً حقيقة الرابطة الإيمانية التي تربط النفوس المؤمنة ببعضها وتجعلهم عباد الله إخواناً .

ـ روى مسلم في صحيحه عنه عليه الصلاة والسلام « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، بحسب امرىءمن الشر أن يحقر أخاه المؤمن ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه ، التقوى ههنا التقوى ههنا التقوى ههنا (وأشار إلى صدره ثلاث مرات) ؛ ألا ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً ولا يحل لامرىء أن يهجر أخاه فوق ثلاث » .

ـ وفي الصحيحين « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم

---

(١) الحجرات : ١٠ .

وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

ـ روى أحمد والبيهقي أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال في حجة الوداع : [أيها الناس : إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى . . ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب] .

ومما يؤكد أن الإسلام جعل رابطة الأخوة الإسلامية فوق الروابط جميعاً تبرؤ القرآن الكريم من أبي لهب العربي الشريف عم الرسول ﷺ . . تبرأ منه القرآن الكريم لكونه صد عن الحق ، وأعرض عن الهدى ، واتبع سبيل الضلال . . فسيصلى ناراً ذات لهب ويدخل جهنم مع الأشقياء المجرمين . . على حين يعتبر الرسول ﷺ سلمان الفارسي رضي الله عنه من أهل البيت الأتقياء الأصفياء . . لكونه استجاب لله والرسول ، واتبع الحق والنور المبين . .

وما أحسن ما قال بعضهم :

عليــــك بتقــوى الله في كل حـــــالــــة
ولا تترك التقـــــوى اتكالاً على النسب
فقـــد رفـــع الإســـلام سلمـــان فـــارس
وقـــد وضـــع الشرك الشريف أبـــا لهب

وكم يكـون ظلمـاً لـلإسـلام ، وإنكاراً لـلأخـوة ، ومحـادة لله والرسول . . أن يقول القوميـون إن المسلم الهنـدي أو الفـارسي أو الكردي أو البربري أو الأنـدنوسي ليسوا من قومنـا ، ولا يعتبروا من إخواننا لأنهم لا ينتسبون إلى العرب ، ولا ينتمون إليهم ؟! .

والإسلام ـ كما نوهنـا ـ جعل المؤمنين أخـوة متـآخين في الله مهما تباعدت أقطارهم ، وتباينت أجناسهم ، واختلفت لغاتهم . . لأن شعـاره الـدائم الـذي لا يتبـدل : ﴿ **إن أكرمكم عنـد الله أتقـاكم** ﴾ (١) ، ومقـايســه الثـابت الـذي لا يتغير ﴿ **إنمـا المؤمنون إخوة** ﴾ (٢) .
ورحم الله من قال :

---

(١) الحجرات : ١٣ .
(٢) الحجرات : ١٠ .

ولست أدري ســوى الإســلام لي وطنــاً
الشــام فيــه ووادي النيـل سيــان
وكلمـــــا ذكر اسم الله في بلـــــــد
عـــددتُ أرجـــاءه من لب أوطـــان

ولله در من قال :

دعي القـــوم ينصر مـــــدعيـــــه
ليحلقـــــه بـــــذي الحسب الصميم
أبي الإســـــلام لا أب لي ســــواه
إذا افتخروا بقيس أو تميم

● لكونها جاحدة حاكمية الإسلام :

والإسلام لا يعتبر من ينتمي إليه مسلماً إلا أن يعتقد اعتقاداً جـازمـاًبصلاحيـة الشريعـة ، وحـاكميتهـا على مـدى الـزمـان والأيام . . ثم الانقياد لحكمها ، والاستسلام لنظامهـا في كل وقت وآن . . وهذا ما تؤكده الآيات الكثيرة :

ـ قـال تعـالى في سـورة آل عمران : ﴿ **ومن يبتـغ غير الإســلام دينــاً فلن يقبــل منـــه وهــو في الآخرة من**

الخاسرين ﴾ .
آية : ٨٥

ـ وقال في سورة المائدة : ﴿ **أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون** ﴾ .
آية : ٥٤ .

ـ وقال في سورة الأحزاب : ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** ﴾ .
آية : ٣٦ .

ـ وقال في سورة النحل : ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيءٍ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** ﴾ .
آية : ٨٩ .

فالقوميون بدعوتهم إلى القومية ينادون بصراحة بالعلمانية ، ومعناها : فصل الدين عن الدولة ، وإبعاد الشريعة الإسلامية عن واقع الحياة ؛ وهذا هو الكفر بعينه ، وهذا هو الضلال المبين !! . .

وأين للقـوميين الاحتكام إلى الإسلام ،وأكثر المـؤسسين لـلأحـزاب القـوميـة هم من سـلالـة « بطرس الأكبر » ، وأحفـاد « ريكاردوش قلب الأسد » حملـة القلوب الحـاقـدة على الإسلام ، ونبيّ الإسلام ، وأبطال الإسلام ؟ ! .

وأين لهم الاحتكام إلى الإسـلام ، وقـد قـال قطب من أقطابهم : « للمسلم العربي دينان : الإسلام والقوميـة ، وللمسيحي العربي دينان : النصرانية والقومية » ؟

فـالقـاسم المشترك الـذي يجمع المسلم والمسيحي - في نظرهم - هو دين القومية !! .

وأين لهم الاحتكام إلى الإسـلام وهم يعتبرون كل دعـوة لا تلتقي مع فكرة القومية هي دعوة رجعيـة أو استعماريـة دعـاتها عملاء مأجورون للأجنبي ، ولو كانت الدعوة ربانيـة خـالصـة لله رب العالمين ؟

ويكفي القـوميين كفراً وضـلالاً أن ينـدرجـوا تحت مفهـوم هذه الآية الكريمة :

﴿ ومن لم يحكم بمـا أنـزل الله فـأولئـك هم الكافرين ﴾ (المائدة : ٤٤) .

● لكونها جاحدة حضارة الإسلام :

والإسلام يعتبر كل مسلم قدم للحضارة يداً سواء أكان عربياً أو أعجمياً ، أبيض أو أسود . . مساهماً في بناء الحضارة الإسلامية حيثما وجد ، وأينما كان ؟ . . لكونه ينتمي إلى هذا الإسلام العظيم ويتشرّف بالانتساب إليه .

أما دعاة القومية العربية فإنهم يحصرون الحضارة الإسلامية في العرب ؛ فحينما يتكلمون عن الحضارة التي صنعها الأجداد المسلمون عبر التاريخ يحرفون الحقائق بقولهم : إن الأمة العربية أبدعت حضارة من أعظم الحضارات في العالم ، وحينما يتحدثون عن الحضارة التي شاهدها الأسلاف المؤمنون في بلاد العرب يزورون التاريخ بقولهم : إن أبناء يعرب هم الذين خلقوا الحضارة وأوجدوها في عالم الواقع ودنيا الناس . .

ما هذا التزوير ؟ وما هذا التحريف ؟ هل المفاخر والمآثر مقصورة على العرب وحدهم دون غيرهم من الأجناس ، والألوان ، والشعوب ؟ . .

ونحن لو قلبنا صفحات التاريخ فماذا نجد ؟

نجد أن الموالي من غير العرب قد تولوا أخطر المناصب العلمية ، والدينية ، والسياسية ، والاجتماعية . . في الدولة الإسلامية ، ولم يحزّ ذلك في نفوس العرب المسلمين ، ولم يشعروا بأي غضاضة أو انتقاص . . فالكفاية الإيمانية ، والعلمية ، والسياسية ، والإدارية . . هي الميزان في تقييم المسلم وتقديمه لتولي المناصب في الدولة . .

وما دام المولى قد استكمل أسباب الولاية ، وصفات الإمارة ، وخصائص تحمل المسؤولية . .

فهو الذي يستحقها ، ويقدم على غيره فيها وإن كان غير عربي وغير قرشيّ . .

فالعربي والمولى أخوان بأخوة الإسلام ، تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ، وليس لأحدهم فضل على الآخر إلا بالتقوى !! .

والرسول صلوات الله وسلامه عليه أعطى لأصحابه والأجيال في كل زمان . . القدوة العلمية في مؤاخاة العرب وغير العرب تحت ظلال العقيدة والإسلام ، وذلك بمؤاخاته بين

المهاجرين والأنصار حين وطئت قدماه الشريفتان أرض المدينة المنورة . .

وكان ممن آخى بينهم بعض الموالي والضعفاء فآخى بينهم وبين كبار الصحابة ممن عرفوا بأصالة النسب ، وعلو المنزلة :

- إذ آخى بلال بن رباح الحبشي وخالد بن رويحة الخثعمي .

- وآخى بين مولاه زيد بن حارثة وعمه حمزة بن عبد المطلب القرشي .

- وآخى بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء .

- وآخى بين خارجة بن زيد وأبي بكر الصديق .

- وآخى بين عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان . .

وأعطى عليه الصلاة والسلام القدوة العلمية في تسليم المناصب للأكفاء ولو كانوا غير عرب . . فهو الذي عين « بلالاً » رضي الله عنه والياً على المدينة ، وفيها من وجوه القوم ممن لا ينكر أحد فضلهم ومآثرهم؛ وهو الذي سلم « أسامة بن زيد » ابن مولاه

قيادة جيش كبير فيهم أبو بكر وعمر . . ؛ وهو الـذي قـال لابي ذر رضي الله عنه حين جاء يطلب الإمـارة : « يـاأبـا ذر : إنـك رجـل ضعيف ، وإنهـا لأمــانــة ، وإنهــا يـوم القيــامــة خـزي وندامة . . . إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها »

وأعطى ﷺ القـدوة العلميـة في تحقيـق مبـدأ المســاواة بين الجميــع دون أن يكــون بين العربي وغير العربي أي تفريــق أو تمييز ، فهو الـذي قـال لأبي ذر حين عير بلالاً بسواده : « أعيرتـه بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية » .

وهو الذي رد شفاعة أسامة بن زيـد حين جـاء يشفع للمرأة المخزومية القرشية التي سرقت ، وهو الذي قـال : « والـذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

فمن هـذه المـواقف التي وقفهــا رسـول الإسـلام صلـوات الله وسلامه عليـه يتبين أنـه كان يسعى في أن يتفـاعل المسلمون على اختلاف أجنـاسهم وألوانهم وشعوبهم . . في بنـاء دولـة الإسـلام ، وحضـارة الإسلام ، وعزة الإسلام . . دون أن يكون بين المسلمين استعلاء جنس على جنس أو تطـاول لون على لون ، أو تفـاضـل أمة على امة !! .

فانطلاقاً من هذه المبادىء الإسلامية ، والمواقف النبوية انصرف كثير من الموالي غير العرب إلى العلم والفقه فبرعوا فيهما حتى أصبحوا فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار بلا منازع ، بل تولوا أعلى المناصب العلمية والدينية والسياسية . . في الدولة الإسلامية .

وإليكم هذه المحاورة التي تؤيد ما نقول :

قال ابن أبي ليلى : قال لي « عيسى بن موسى » ـ وكان شديد العصبية للعرب ـ : من كان فقيه البصرة ؟

قلت : الحسن البصري بن أبي الحسن ، قال : ثم من ؟ قلت : محمد بن سيرين ، قال ، فما هما ؟ قلت : موليان !! .

قال : فمن فقيه اليمن ؟ ، قلت : عطاء بن أبي رباح ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وسليمان بن يسار ، قال : فما هؤلاء ؟؟ ، قلت : موالي !! .

فمن فقهاء المدينة ؟ ، قلت : زيد بن أسلم ، ومحمد بن المنكدر ، ونافع بن نجيح . قال : فما هؤلاء ؟ ، قلت :

موالي !! .

فتغير وجهه ثم قال : فمن أفقه أهل قباء ؟ ، قلت : ربيعة الرأي ، وابن أبي الزناد . قال : فما كانا ؟ ، قلت : من الموالي !! .

فاربد وجهه (أي تغير) ثم قال : فمن فقيه مكة ؟ ، قلت : طاووس ، وابنه ، وابن منبه ، قال : فمن هؤلاء ؟ ، قلت : من الموالي !! .

فانتفخت أوداجه وانتصب قاعداً وقال : فمن فقيه خراسان ؟
قلت : عطاء بن عبد الله الخراساني ، قال : فما عطاء هذا ؟
قلت : مولى !! .
فازداد وجهه تربداً ، واسود اسوداداً حتى خفته ، ثم قال : فمن فقيه الشام ؟ ، قلت : مكحول ، قال : فما مكحول هذا ؟
قلت : مولى !! .

قال فمن كان فقيه الكوفة ؟ . . ولولا أني خفته لقلت : الحكم بن عتبة ، وعمار بن أبي سلمان ، ولكن رأيت في نفسه

الشر فقلت : إبراهيم النخعي والشعبي .
قال فما كانا ؟ قلت : عربيان .
فقال : الله أكبر وسكن جأشه .

فمن هذا الحوار يتبين أن الموالي من غير العرب كانوا من أشهر الرجال في النبوغ العلمي ، والتفوق الحضاري يتبؤون أسمى المراتب ، وينالون أعلى المناصب . . كأمثال أبي حنيفة النعمان ، وسيبوية ، والبيروني ، والخوارزمي ، والرازي ،وابن سينا . . . وكثير غيرهم ممن حملوا إلى العالم ألوية الفقه ، والطب ، والرياضيات ، والفلسفة ،.والفلك ، والتاريخ . . وسائر العلوم ؟! .

ولا يستطيع أحد أن يتجاهل ما تدين به الحضارة الإسلامية للعصر السلجوقي . .

ولا يستطيع أحد أن ينكر ما قدمته نهضة التيموريين في أواسط آسيا للحضارة الإسلامية .

ولا يستطيع أحد أن يتغاضى عن الدور الهائل الذي لعبه الأتراك العثمانيون في انبعاث الحضارة الإسلامية وازدهارها .

فإذا ذكرنا أن هؤلاء جميعاً ليسوا بعرب عرفنا جيداً أن كل من آمن بهذا الإسلام عقيدة وعبادة وتشريعاً . . ساهم في بناء الحضارة الإسلامية عبر التاريخ ، وشارك في إقامة مجد المسلمين خلال العصور . . سواء أكان عربياً أو أعجمياً ، أبيض كان أو أسود . . فالقوميون الذين يريدون أن يحصروا الحضارة بالعرب وحدهم ، هم في الحقيقة جاحدون لفضل غير العرب الذين ساهموا في إقامة مجد الإسلام حضارياً وسياسياً . . وفي الوقت نفسه هم مفترون على الحقيقة ، وكاذبون على التاريخ !! . .

فبأي حديث بعد هذا يؤمنون ؟ .

١٠ ـ ما هو موقف الإسلام من العرب واللغة العربية :

في الحقيقة إن الإسلام بمبادئه السمحة لم يقف من العرب واللغة العربية موقف المجافاة ، بل يعتبر حبهما من الإيمان ، والسبيل إلى عزة الإسلام . .

ولنستمع إلى النصوص قرآناً وحديثاً في فضل العرب ، وفضل اللغة العربية على حد سواء :

في التنزيل :

- يقول سبحانه في سورة فصلت ﴿ **كتابٌ فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون** ﴾

آية ٢

- ويقول في سورة الزخرف ﴿ **وإنه لذكر لك ولقومك** ﴾

آية : ٤٤

ويقول في سورة التوبة ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم . . .** ﴾

آية : ١٢٨

- ويقول في سورة الجمعة : ﴿ **هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم . .** ﴾

آية : ٢

ففي قوله سبحانه ﴿ . . **قرآناً عربياً** ﴾

اظهار لفضل اللغة العربية على سائر اللغات .

وفي قوله ﴿ . . **لذكر لك ولقومك** ﴾ ، ﴿ **جاءكم رسول من أنفسكم . .** ﴾ ، ﴿ **بعث في الأميين رسولاً منهم** ﴾ .

إظهار لشرف العرب الذين بعث الرسول منهم ، ونزل القرآن الكريم بلغتهم ، وبزغ النور الرباني من جزيرتهم . . .

● **وفي فضل اللغة العربية يقول عليه الصلاة والسلام :**

كما روى الحافظ ابن عساكر عن مالك :

ـ « ياأيها الناس : إن الربّ واحد ، وإن الأب واحد ، وإن الدين واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وإنما هي اللسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي » .

ـ وروى ابن كثير عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ﷺ أنه قال : « ألا إن العربية اللسان ، ألا إن العربية اللسان » .

بذلك نعلم ـ كما قال الإمام البنا رحمه الله ـ إن هذه الشعوب الممتدة من خليج فارس إلى طنجة ومراكش على المحيط الأطلسي كلها عربية تجمعها العقيدة ويوحد بينها اللسان ، وبذلك نعلم أيضاً أن غير العرب تحقق بشرف العربية التي هي لغة القرآن الكريم . . .

ألا فليفهم دعاة القومية العربية هذه الحقائق ، وليعلموا أن الإسلام يسعى جهده لكي يمد سلطان اللغة العربية في أرجاء العالم باعتبار أنها لغة القرآن ، وشعار الإسلام ؟ !! .

● **وفي فضل العرب يقول ﷺ :**

كما روى أحمد ومسلم والترمذي : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » .

وكما روى محمد بن إسحاق الصنعاني من طرق متعددة : « أن الله خلق السموات سبعاً ، فاختار العليا منها ، وأسكنها من شاء من خلقه ، ثم خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم ، واختار من بني آدم العرب ، واختار من العرب مضر ، واختار من مضر قريشاً ، واختار من قريش بني هاشم ، واختارني من بني هاشم ، فأنا خيار من خيار من خيار ، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم » (١) .

---

(١) ذكره ابن تبعيه في كتابه لا اقتضاء الصراط المستقيم .

- وروى الترمذي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه : « ياسلمان : لا تبغضني فتفارق دينك قلت : يارسول الله كيف أبغضك وبك هداني الله ؟ قال : تبغض العرب فتبغضني » .

وروى أبو طاهر السلفي ، وابن تيمية في « اقتضاء الصراط المستقيم » : « حب أبي بكر وعمر من الإيمان ، وبغضهما من الكفر ؛ وحب العرب من الإيمان وبغضهم من الكفر » .

وفي تقديري أن هذه الأفضلية التي خص الرسول ﷺ بها العرب تكليفية ، بل تحمل لمسؤولية الإسلام وتبليغه إلى الدنيا . .

لما كانوا يمتازون به من فصاحة نادرة ، ورجولة كاملة ، وشجاعة فائقة وعزيمة راسخة ، وتحمّل للشدائد عظيم . . حتى اذا آمنوا بهذا الإسلام الذي ارتضاه الله لهم ، واعتنقوا الدعوة الإسلامية التي بزغ نورها من أرضهم ، وفهموا الشريعة التي تنزلت بلغتهم . . كانوا أقدر من غيرهم على حمل التبعة ، وبذل التضحية ومواصلة الجهاد ، وإقامة الحجة ، وتوضيح مبادىء الإسلام ، وتذليل العقبات التي تعترض طريق الدعوة . .

ومن هنـا عرف السر أن الله جلت حكمتـه اختـار لـدعـوتـه أرض الحجـاز والشـام . . في أوسـط بقـاع الأرض لتكـون هــذه البلاد وسطاً بين شرق وغرب ، فتقدم لهذا وذاك مـا عنـدهـا من خير ، وتصلـح مــا تراه من فســاد ، وتقــوم خرافــات المــاضي وجاهلية الحاضر ، وتسير بهـا قـدمـاً نحو ميـادين العلم والمعرفـة ، وآفـاق التحرّر والنهـوض . . وصـدق الله العظيم القـائـل في محكم تنزيله ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطـاً لتكونوا شهـداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً** ﴾ (١)

البقرة ـ ١٤٣

ولا تقتضي هـذه الأفضليـة للعرب التي أفصح الرسـول ﷺ عنها ، وأشار القرآن الكريم إليها أن يفخر بهـا العرب على غيرهم من المسلمين ، وأن يأخـذهم العجب والغرور بـانتسـابهم إليهـا . . وإلا . . فإنها ستنقلب إلى عصبية منتنة ، وجاهلية حمقـاء وسبق أن ذكرنا حديث :

« ان اللهأذهب عنكم عيبــة الجـاهليــة ، ـ أي نخــوتهــا ـ وفخرها بالآباء » .

والإسلام بمبادئه السمحة الحكيمة لا يمانع من أن يعمل المسلم لبلده ، وأن يتعاطف ويتعاون مع قومه وعشيرته ، وأن يقدم أكبر ما يستطيع من الخيروالنفع للأمة التي يعيش بينها ، وللناس الذين يلتقي معهم . . وأن يقدم الأقرب فالأقرب في تعاطفه وتعاونه وبره . . حتى إن الشريعة الإسلامية لم تجز نقل الزكاة إلى أبعد من مسافة القصر إلا لضرورة . . وما ذاك إلا مراعاة للجوار ، وتكافل للأقربين ، وتفضيل أبناء الوطن الواحد على غيرهم إذا كانوا فقراء ومحاويج !! .

وكذلك الأرض التي يقطن عليها المسلم ، فهي بالاعتبار أرضه ، فيجب أن يحافظ عليها ، ويدافع عنها كما يدافع عن ماله وأرضه وأهله !! .

وكذلك الوطن الذي يعيش في كنفه المؤمن ، فهو بالاعتبار وطنه ، يجب أن يبذل في سبيل الحفاظ عليه آخر قطرة من دمه ، وآخر قرش من ماله . . لكونه جزءاً من الوطن الإسلامي الكبير الذي يضم في ربوعه إخوة في الإسلام ، وأقواماً في العقيدة . .مهما اختلفت لغاتهم ، وتباينت أجناسهم ، وتباعدت أقطارهم . .

ورحم الله من قال :

ولست أدري سوى الإسلام لي وطناً
الشام فيه ووادي النيل سيان
وكلما ذكر أسم الله في بلد
عددتُ أرجاءه من لبّ أوطاني

والحنين إلى الوطن ظاهرة فطرية في الإنسان فلا يمنع الإسلام من أن يحن المسلم إلى أصله ومسقط رأسه ، وملعب صباه . . فهذا رسول الله ﷺ حين هاجر من مكة إلى المدينة ، لم يمنع حبه للمدينة أن يحن إلى مكة بلده الحبيب ، وأن يقول لأصيل ، وقد أخذ يصفها : « ياأصيل : دع القلوب تقر » ، وهو القائل لمكة في اللحظة التي هاجر فيها : « إني أعلم أنك أحب البلاد إلى الله ، ولولا أن قومي أخرجوني ما خرجت » .

وهذا بلال رضي الله عنه تأجج قلبه شوقاً إلى بلدته الحبيبة واعتلجت نفسه حنيناً إليها . . فجعل يهتف من قرارة وجدانه بهذه الأبيات :

ألاليت شعري هل أبيتن ليلة
بوادٍ وحولي أذ خر وجليل

وهــل أرِدَنْ يــومـــاً ميـــاه مجنـــةٍ
وهــل يبـــدون لي شـــامـــة وطفيــل

ومنه قول الشاعر :

نقــل فــؤادك حيث شئت من الهــوى
مــــــــــا الحب إلا للحبيب الأول
كم من منزل في الأرض يـــألفـــه الفتى
وحنينـــــــه أبـــــــداً لأول منزل

ويقول آخــر :

بــلادي وإن جـــارت علي عـــزيـــزة
وأهلي وإن ضنـــــــــــوا علي كرام

والذي أخلص إليه بعد ما تقدم :

أن الإســلام لم يقف من اللغــة العربيــة والعرب مــوقف الكراهية والمجافاة ، وإنما جعل حبهما من الإيمان ، ودفع أهلهما ليحملوا إلى العالم رسالة الإسلام . .

كما أنـه لا يمانع أن يعمل المسلم لوطنـه ، وأن يتعـاطف مع قــومــه وعشيرتــه . . في سبيـل تحقيـق مجتمـع أفضــل ، وعيش

أكرم . .

كما اعتبر الأرض التي يقطن عليها المسلم هي أرضه والوطن الذي يعيش في كنفه هو وطنه فيجب أن يحافظ عليه كما يحافظ على نفسه وماله وعرضه . .

وأخيراً لا يمانع الإسلام المسلم من أن يحن إلى مسقط رأسه ، وملعب صباه . .

اقتداء برسول الله ﷺ وصحبه الكرام واستجابة لفطرة حب الوطن المتأصلة في كيان الإنسان ﴿ **فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله** ﴾ .

الروم ـ ٣٠

☆ ☆ ☆

١١ ـ وأخيراً همسة في أذن القوميين العقلانيين :

بعد أن تراءت الحقيقة الناصعة بأجلى معانيها أهمس في أذن القوميين المتفهمين للحقيقة هذه الكلمة :

المناداة بفكرة الجامعة الإسلامية ماذا تعني ؟

ـ أليست تعني أن اللغة العربية تفرض سلطانها على كل بلد يدين أهلها بالإسلام ، لأن غير العربي يعتبر اللغة العربية لغته ، اعتقاداً منه أن القرآن العربي كتابه ؟

ـ أليست تعني أن المسلمين برابطة العقيدة ، وقوة الشكيمة ، وكثرة العدد يكونون وحدة كبرى تتحدى الأمم ، وتقف في وجه الدول ؟

ـ أليست تعني أن المسلمين في الشرق والغرب تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ؟

ـ أليست تعني أن المسلمين تتوحد مناهج حكمهم ونظم حياتهم ، ومصدر قوانينهم . . لكونهم يستمدون ذلك كله من شريعة خالدة ، ودين واحد ؟ .

ـ أليست تعني أن المسلمين اليوم يكونون في العالم كتلة إسلامية متراصة تتحدى الشرق بقوته ، والغرب بجبروته ؟ .

ـ أليست تعني أن المسلمين بتآلفهم الأكبر سوف يستعيدون تحت الشمس مجدهم الغابر ، ووحدتهم الشاملة ، وعزتهم

السامقة ؟ .

فإذا كانت الجامعة الإسلامية تعني كل هذا فلماذا يقف القوميون منها موقف المعاداة والمحاربة ؟ ولماذا يتهمون دعاتها بالرجعية والشعوبية ؟ ولماذا يصرون بالمناداة على دعوة محدودة ؟ ولماذا يطرحون شعار القومية العربية ؟

ثم ليستقرىء القوميون التاريخ :

هل تجمع ما تجمع للعرب من مجد وممالك وعزة ورفعة . . الا في ظل تلك الوحدة الإسلامية ، وخلافتها الراشدة ؟

هل ضاع ما ضاع من البلاد ، وتشتت ما تشتت من الأمم ، وتمزق ما تمزق من الوحدة . . إلا بعد انحسار تلك القيادة الإسلامية المؤمنة عن أرض العرب والإسلام ؟ .

هل عرفوا أن أهل الكتابين : اليهود والنصارى كانوا يرون من الحقوق العادلة ، والمعاملة الطيبة . . في ظل الوحدة الإسلامية مما دفع عقلاءهم ومؤرخيهم ورجال الدين فيهم . . أن يشهدوا صادقين بسماحة الإسلام ، ورحمة المسلمين ؟ .

نعم لقد دلت التجربة ، وأثبت التاريخ . . أن العرب كلما ازدادوا ارتباطاً بالإسلام ، وانضواء تحت وحدته وجامعته كانت قوتهم أمام أعدائهم أكبر ، ووحدتهم وتماسكهم فيما بينهم أمتن وأعظم . . وبالتالي كان تقديس الأعاجم للعرب وللغة العربية أظهر وأبلغ . . ؛ وكلما تنكروا لهذا الدين ، وحادوا عن منهج الإسلام الحق واستبدلوا بشعارات الوحدة الإسلامية وجامعتها شعارات قومية ودعوات محدودة . . تنكر لهم الأعاجم المسلمون ، ولووا رؤوسهم متعزّزين عن جميع شعارات القومية والعروبة وفلسفاتها !! بل سينطلقون حتماً على أثر ردود الفعل هذه ، لينادوا بقوميات عنصرية ، ودعوات جاهلية ما أنزل الله بها من سلطان !! .

إذن لا يحل المشكلة إلا الأخذ بتجربة التاريخ ألا وهي المناداة بفكرة الوحدة الإسلامية التي تجمع تحت لوائها عناصر مختلفة ، وأجناساً متباينة . .

وهذا هو واقع التاريخ ، وهذه هي التجربة بأجلى صورها ومعانيها . . .

وفي الختام نقول للقوميين هذه الكلمة :

[نحن المسلمين لم ندخل التاريخ بأبي لهب ، وأبي ابن خلف . . ولكن دخلناه بالرسول العربي محمد بن عبد الله ﷺ ، وأبي بكر ، وعمر ، وخالد ، وأسامة . . .

ولم تفتح الفتوح بحرب البسوس ، وداحس ، والغبراء . . ولكن فتحناها ببدر ، والقادسية ، واليرموك . .

ولم نحمل إلى الناس رسالة الات والعزّى . . ولكن حملنا إليهم رسالة الإسلام ومبادىء القرآن . .] (١)

ولم نحكم الدنيا بشعارات جاهلية ، ودعوات قومية . . وإنما حكمناها بالمنهج الرباني ، والشريعة العالمية الخالدة . .

فبأي حديث بعد هذا يؤمنون ؟ .

☆ ☆ ☆

١٢ ـ وفي نهاية المطاف ياشباب :

---

(١) من خطبة الأستاذ الداعية « عصام العطار » .

حَذار من الانسياق وراء شعارات جاهلية ما أنزل الله بها من سلطان . .

وحذار من الاستجابة إلى دعوات قومية نبذها الإسلام . .

وحذار من الانضواء تحت رايات عمية نكستها شريعة الرحمن . .

وحذار من الانخداع بمبادىء وأنظمه ودعوات هي من صنع اليهودية والماسونية والاستعمار . .

وحذار من الانحراف عن منهج الإسلام الحق ، وعن دين الله الخالد . . .

واعلموا ياشباب :

أننا إذا جردنا الدعوة إلى العروبة من النظم الربانية والتعاليم الإسلامية ، يصح أن نقول عنها ، إنها من مخلفات أبي جهل ، وأمثاله من كفرة قريش ، وأشقياء الجاهلية !! .

اسمعوا إلى ما يقوله الفاروق عمر رضي الله عنه ـ فيما رواه الحاكم ـ :

« إننا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام ، فمهما

نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله » .

نعم ـ ياشباب ـ حينما اعتز أجدادكم البواسل الأمجاد بهذا الإسلام العظيم ، وطبقوه على أنفسهم منهاجاً وأحكاماً . . تبدلت أوضاعهم ، وتغيرت أحوالهم . . وصاروا بفضل الله وتوفيقه قوة ووحدة ، يحقّون الحق ، ويقيمون العدل ، ويدفعون الظلم ، ويكرمون الإنسان ، ويفرضون المعرفة ويملؤون الدنيا عدلاً وخيراً ، وينبتون الأرض عسلاً ولبناً . .

ثم كان ما هو أهم من ذلك وأخطر ؛ أنهم في ظل الأخوة الإيمانية ، والوحدة الإسلامية ؛ وفي ظل شريعة الله الربانية ، والمبادىء القرآنية . . استطاعوا أن يتحرروا من النفوذ الذاتي والتناحر القلبي ؛ وأن يتخلصوا من جاهليتهم الحمقاء ، وعقيدتهم الجاهلية . . وأن ينعموا أفراداً وجماعات بالحياة الحرة الكريمة . . وفي زمن يسير استطاعوا أيضاً أن يقيموا في العالمين دولة إسلامية كبرى مترامية الأطراف ؛ امتدت إلى فرنسا غرباً ، وإلى الصين شرقاً . .

تلك الدولة التي أضاءت جنبات العالم الإنساني بأسره بنور

الحضـارة ، وإشراقـة الإيمـان وشمس الإسلام . . ومـا زالت الأمم المتحضرةاليوم ترتشف من معين هـذه الحضـارة ، وتستضيء بنـور هذا الإسلام العظيم ! ! .

أعلنوها ياشباب صريحة مدوية :

أن أمة الإسلام اليوم لا تصلح إلا بما صلح بـه أولهـا ؛ فـإذا كان صلاح أولها بـالإسلام منهـاجـاً وأحكامـاً ، وبـالـدعـاة دعوة وتبليغاً ، وبالمسلمين تضحية وجهاداً . . .

فكـذلـك صـلاحهـا اليـوم لا يتحقـق إلا بمنهـاج الإسـلام وأحكامـه ، ودعـوة الـدعـاة وتبليغهم ، وتضحيـة المسلمين وجهادهم . .

فكـونـوا أنتم ـ يـاشبـاب ـ الـدعـاة إلى الله الـذين يبلغـون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحد إلا الله . .

وكونوا الطليعة الرائدة في التضحيـة والجهـاد ، والاستبسـال والفداء . . ليتحقق لهذا الدين انتصاره ، ولهذا الإسلام انتشاره ، وللشعوب المسلمة وحدتها الكبرى .

أسمعوا الدنيا شعارات دعوتكم ، ومنهاج عملكم وجهادكم :

« الله غايتنا ، والرسول قدوتنا ، والقرآن دستورنا ، والجهاد سبيلنا ، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا » . . .

وليكن نداؤكم دائماً :

في سبيل الله قمنا نبتغي رفع اللواء
فليعد للدين مجده أو ترق منا الدماء

فياشباب :

تطلعوا إلى السماء ، سيروا مع موكب سيد الأنبياء . . شيدوا بسواعدكم الفتية صرح الإسلام العتيد . . . أعيدوا بعزائمكم المتينة مجد الجدود العريض . .

برهنوا لدعاة القومية كيف يكون العز بالإسلام ؟

وكيف يكون النهوض والتقدم بالقرآن ؟

وكيف تتكون الوحدة الشاملة في ظل العقيدة والإيمان ؟ .

عسى أن يفهم المنخدعون الحقيقة ، وعسى أن يثوبوا إلى هدي الإسلام . .

﴿ وقــل اعملــوا فسيرى الله عملكم ورســولـــه والمؤمنـون وستردون إلى عـالم الغيب والشهـادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ .

(التوبة : ١٠٥)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فهرس

صدر للمؤلف من سلسلة :	الناشر
« بحوث إسلامية هامة » الكتب التالية :	**دار السلام**
١ – إلى كل أب غيور يؤمن بالله .	»
٢ – فضائل رمضان وأحكامه .	»
٣ – حكم الإسلام في التأمين .	»
٤ – أحكام الزكاة على ضوء المذاهب الأربعة .	»
٥ – حكم الإسلام في وسائل الإعلام .	»
٦ – شبهات وردود .	»
٧ – عقبات الزواج .	»
٨ – مسؤولية التربية الجنسية .	»
٩ – تكوين الشخصية الإنسانية ..	»
١٠ –إلى ورثة الأنبياء .	»
١١ –آداب الخطبة والزفاف ..	»
١٢ –حرية الاعتقاد في الشريعة ..	»
١٣ –القومية في ميزان الإسلام .	»
١٤ –الإسلام شريعة الزمان والمكان .	»
١٥ –نظام الرق في الإسلام .	»
١٦ –معالم الحضارة في الإسلام .	»

١٧ –دور الشباب فى حمل رسالة الإسلام . دار السلام
١٨ –الإسلام والحب . »
١٩ –تعدد الزوجات في الإسلام . دار القلم
٢٠ –الإسلام والجنس . دار السلام

كتب أخرى مطبوعة للمؤلف :

١ – تربية الأولاد في الإسلام (مجلدان) . دار السلام
٢ – قصة الهداية (مجلدان) . »
٣ – التكافل الاجتماعي في الإسلام . »
٤ – صلاح الدين الأيوبي . »
٥ – حتى يعلم الشباب . »
٦ – الإسلام والقضية الفلسطينية . مكتبة المنار
٧ – الأخوة الإسلامية . »
٨ – أفعال العباد بين الجبر والاختيار . »

انتظروا قريباً :

١ – حين يذوق المسلم حلاوة الإيمان .
٢ – دور الأم في تربية الولد .
٣ – فقه الدعوة الإسلامية .